

المحاضرة السادسة

جامعة الانبار / كلية التربية للعلوم الانسانية - قسم التاريخ / الدراسات العليا / دراسات في تاريخ المغرب والاندلس / أستاذ المادة : د. عثمان عبدالعزيز صالح

المحتويات...

جغرافية الأندلس وحدودها وتسميتها والأقوام التي سكنتها ومعرفتها وضعها

السياسي والاجتماعي والديني قبل الفتح العربي الاسلامي :

أولا - الموقع والتسمية

وضح الجغرافيون حدود الأندلس والتي تعرف بأسم شبه الجزيرة الايبيرية والتي تشمل إسبانيا والبرتغال وتقع في الجنوب الغربي من اوربا، وتحدها المياه من ثلاث جهات الا الجزء الشمالي تحدها سلاسل جبلية تفصلها عن فرنسا (الجنوب الفرنسي) .. هذه السلاسل تسمى سلاسل جبال (برتات او البرنيه) ويحيط بها من الناحية الغربية والجنوبي الغربي المحيط الاطلسي الذي كان يسمى عدة تسميات في السابق حيث كان يطلق عليها (بحر الازرق أو بحر الظلمات أو البحر الكبير)

و يحدها من الجهة الجنوبية والجنوبية الشرقية البحر المتوسط الذي كان يسمى (البحر الروماني أو البحر الشامي) ويفصلها ايضا في منطقة الجنوب مضيق مائي هو مضيق جبل طارق (بحر الزقاق) عن المغرب والذي يبلغ عرضه من ١٦ الى ٣٢ كم.

تتميز جغرافية سبه الجزيرة الايبيرية بكثرة السلاسل الجبلية والوديان والانهار حيث توجد فيها العديد من الانهار أهمها (الابرو ، ونهر المنهو ونهر دويرة ونهر تاجة ووادي انه والوادي الكبير) و ساعدت هذه الانهار على ازدهار الزراعة حيث تميزت بأراضي سهلية التي تسمى باللغه الاسبانية (المزيتا) أي يعني الاراضي الخصبه كذلك ساعدت الانهار على قيام مدن لأنه مصدر الحياة وأهم هذه هي (غرناطه - قرطبه - واشبيليه - طليطه) وغيرها من المدن التي قامت على ضفاف الانهار.

وايضاً ساعدت على ازدياد الحركة التجاره الداخلية بين المدن وكذلك التجاره الخارجيه كانت مزدهره بسبب موقعها المتميز.

مناخ أسبانيا يتميز مناخ أسبانيا بالاعتدال ولكن كلما تقدمنا نحو الشمال باتجاه فرنسا تزداد البرودة وتزداد الامطار وتساقط الثلوج .

اماالصناعة : تتميز أسبانيا بوجود معادن كثيرة كالنحاس والحديد الذي يوجد بشكل كبير فيها مما ادي الى وجود العديد من الصناعات مثل صناعة الاواني المطبخية وآلات الزراعة

إما عن تسميتها،فقد كانت تسمى بـ(ايبيرية) نسبة الى نهر ايبرو ،واطلقت عليه تسمية اشبانيا نسبة الى حاكم اسمه اشبان بن طيطش، وعندما حكم الرومان أطلقوا عليها اسم (هصبانية) أو (اصبانيا) لتتحول هذه اللفظة في العصور الوسطى إلى اسم (إسبانيا) وعندما جاء العرب المسلمين أطلقوا تسمية الأندلس على المناطق التي حكمها المسلمين .

اما مصطلح الأندلس : وأنت هذه التسمية من عدة روايات هي

الراي الاول يذكر الى ان اصل اللفظة نسبة الى اندلس بن يافث بن نوح (ع) الذي اول من عمره هذه الارض فسميت باسمه .

الراي الثاني يشير الى ان هناك اقوام سكنت الجزيرة بعد الطوفان وكان ملكهم اسمه اندلش فسميت الجزيرة بأسمه .ثم عربت بعد الفتح الى الاندلس وقيل ايضا هذه التسمية نسبة الى ملك اسمه انجش بن اشبان .

الراي الثالث يقول ان اصل الكلمة يونانية تحت اسم اشبانيا ثم سميت اباريا .

الراي الرابع : ان سبب هذه التسمية يعود الى قبائل الوندال الذين اطلقوا عليها اسم ماندليسيا أي بمعنى السكان القدماء لشبه الجزيرة (الايبيرية).

الراي الرابع اندلوشيا : هي من التسميات التي أطلقت على شبة الجزيرة الايبيرية وسبب اطلاق هذه التسمية إلى راهبة اسمها القديسة لوسيا التي كانت تبحث عن ارض لا يوجد فيها فساد فأتاها هاتف من السماء اذهبي الى اندلوشيا فذهبت اليها وسكنت بها فأطلقت عليها هذه التسمية علما ان هذه الرواية أسطورية

ثانيا- الاقوام التي سكنت شبه الجزيرة ايبيرية قبل دخول العرب الى الاندلس

اقوام الاندليش نسبة الى ملكهم أندلش ابن أنجش الذين سكنوا فترة طويلة اذ كانوا متنعمين في خيرات الاندلس الا أنهم بدعوا يظلمون الناس وكثر الفساد فيما بينهم فأدى الى حلول الجفاف والقحط فحسف الله بهم الارض فتركت ولم يسكن بها أحد .

ومن بعدهم سكنوها الافارقه اذ أتو من المغرب أصابهم ايضا القحط والجوع فقرر ملك مغرب قتل نصفهم الا أن بنت الملك قالت لماذا تقتلهم نضعهم في السفن ونقذف بهم بالبحر فتذهب بهم الريح عندئذ حطت المراكب في شبه الجزيرة الايبيرية فوجدوا بها الخيرات وعادت من جديد واستطاعوا من تكوين دولة ونصبوا من انفسهم ملوكا على البلاد وسموا بالايبيريون الذين اصبحوا اساس جنس البحر المتوسط الا أن في أواخر حكمهم دخلت اقوام جديدة هي أقوام (الهند وأوربيه - والكلت) فضلاً الذين استطاعوا السيطرة على الأندلس واخذ الحكم منهم.. وبعد فترة تعرضت الاندلس لهجرة جديدة هي هجرة الفينيقيون الذين أسسوا مستعمرات على السواحل الشرقية والجنوبية للجزيرة . وعلى اثر ذلك حدثت الصراعات العديدة بين هذه الاقوام من اجل السيادة والتفوق في الجزيرة فدخل عنصر جديد هم الرومان حيث وجدت أن شبه الجزيرة الايبيرية مكان لا يمكن التخلي منها فقرروا السيطرة عليها مستغلين الخلافات التي كانت بين حكامها وبالفعل سيطروا عليها وأخذوا من مدينه طليطه (توليدو) مقراً لحكمهم التي كانت تقع في شمال اسبانيا ونقلوا الحضاره الرومانيه اليها واكسبوهم الصبغة الرومانية ،.الا ان بعد فترة من الزمن ضعفت الامبراطورية الرومانية إذ انقسمت إلى شرقية وغربية سنة ٣٩٥م وكثرة فيها الفتن والانقسامات وعلى اثر ذلك تمكنت قبائل الوندال من السيطرة على اسبانيا وهي قبائل جرمانية يتميزون بالوحشية والقسوة وتميز حكمهم بالفوضى والاضطرابات في كافة الامور السياسية و المعاشية ،فضلا عن سيطرتهم على المغرب الى ان تمكنت قبائل الغوط الغربيون من القضاء عليهم واستمر حكمهم الى ان أستطاع العرب من القضاء عليهم في عهد طارق بن زياد وموسى بن نصير سنة ٩٢ هـ .

وسوف يكون التركيز على آخر دولة حكمت اسبانيا قبل الفتح العربي وهي دولة القوط الغربيون .

القوط الغربيين : يرجع اصلهم الى عناصر من شرق أوروبا الشرقيه وبالتحديد من (اوكرانيا) وبعد ذلك تعرضت هذه العناصر الى ضغط من قبائل المحيطه بهم وحدثت بينهم معارك كثيره عنئذ قرر الغوط الرحيل من أوكرانيا وأنقسموا الى قسمين الشرقيون والغربيون فالشرقيون سكنو في رومانيا أما الغربيون تقدموا باتجاه اوربا الغربيه لهذا سموا بالغربيون بقيادة ملكهم الاريك ،منعوهم الرومان من دخول مناطقهم فبقوا على الحدود وبعد ذلك تعرضت الامبراطورية الرومانية الى هجوم من قبل قبائل (السويف) قبائل جرمانيه . وكان الجيش الروماني ضعيف في تلك فتره بسبب الخلافات بين أفراد العائلة الحاكمة فعندئذ قرر الامبراطور الروماني الاستعانه بالقوط الغربيين من أجل صد قبائل (السويف) وابعادهم فاستطاعوا من الانتصار وابعادهم ، فكافئهم الامبراطور وادخلهم ضمن حدود الامبراطورية

الرومانية واسكنهم احدى المدن الرومانية فضلاً عن تعيينهم في حرس الامبراطور وعين قادة ضمن الدولة لاسيما في الجيش .

وبدأ الضعف يدب داخل الامبراطورية الرومانية والنقص في الامدادات والاذنية فلا يوجد مناطق جديدة لهم ففروا استقلال ضعف الوندال في شبه الجزيرة اليبيرية فتوجه بقيادة قائدهم (اطولوف) واستطاعوا السيطرة والقضاء على حكم الوندال واستطاعوا من حكم عاصمتها طليطله وبدأ حكم القوط الغربيين .

ثالثاً - وضعها السياسي من خلال نظام حكم القوط الغربيين

لم يكونوا اغلبية بل اقلية في شبه الجزيرة اليبيرية وعددهم لا يتجاوز مئتان الف وعدد السكان الاصليين ٦٠٠٠٠٠ شخص وقلية مسيطرين على مقاليد الحكم . ونظام الحكم عند الغوط ملكي منتخب وليس وراثياً وليس شرط ان يكون الابن ان يخلف ابوه بل النبلاء الاقوياء هم المسيطرون على مقاليد الحكم وتكون شروط الاختيار الملك على اساس انه ينتمي لاصل قوطي وان يكون من طبقة النبلاء ويتمتع باخلاق حسنة ولكن جرت العادة ان يتولى العرش أقوى هؤلاء بحد السيف ، وتكون من واجباته قيادة الجيش وتعيين رجال الدين وعزلهم عن المناصب . وتوجد مجالس لادارة الدولة ها

مجلس النبلاء : يضم النبلاء من الغوط الغربيين والوندال وبقايا من الرومان والسكان الاصليين الذين لديهم اموال وهؤلاء مهمتهم مساعدة الملك لادارة شؤون الدولة وهذا المجلس قد لا يكون له دور مهم في حاله وجود ملك قوي حيث لا يعطي اي صلاحيات ولكن في حالة ضعف الملك يصبح المجلس قوه ويتم اختيار الملك عند وفاته .

القساوسة (المسيحيين) : يقع اجتماعهم في الكنيسة الرئيسية بطليطله العاصمة حيث في كل سنة يجتمع القساوسة من جميع انحاء البلاد مره او مرتين او حسب طلب الملك يجتمعون اذا حدث امراً ما وهؤلاء العموم يطلب الملك بتعويضهم بأدارة امور البلاد وكان لهم نفوذ واسع اذا كان الملك ضعيف ويضعف نفوذه عندما يكون الملك قوي .

ومن اشهر ملوك دولة القوط الملك اخيكا (٦٨٧-٧٠٢م) ثم جاء بعده ولده غيطشة (٧٠٢-٧١٠م) وقد حدث في عهده عدة اصلاحات مثل اطلاق السجناء والسماح للمنفيين بالعودة الى اسبانيا وارجاع الاموال والاملاك المصادرة الا انه وبعد مرور سبع سنوات غير سياسته التي اغضبت الشعب الاسباني مثل اصداره قرار يسمح لرجال الدين بالزواج وسمح لليهود بالرجوع الى اسبانيا وممارستهم لشعائهم الدينية بكل حرية بعد ان طردهم ابيه اخيكا

واتبع اسلوب القتل والتعذيب والتنكيل والنفي للبارزين من الاسبان بالاضافة الى هدم الحصون والاسوار .

رابعاً - أحوال المجتمع الأسباني قبل فتح العربي الاسلامي :

عاش المجتمع الاسباني في جو من الظلم والتخلف وفقر شديد والتمايز الطبقي بين افراد المجتمع حيث يوجد الغني والفقير والعبيد بأعداد هائلة وهذا الامر ادى الى حدوث فوضى وعندما جاء الغوط الغربيون الى حكم الاندلس ابقوا على نظام الروماني نظام الطبقات ويقسم إلى :

طبقة النبلاء : وتضم هذه الطبقة كبار ومسؤولين الدولة اصحاب الاموال والاراضي وكان هؤلاء مسيطرون على جميع الاوضاع الاقتصادية في البلد وكان كل قوم يراسهم النبلاء فنبلاء القوط الغربيين مسؤولين على القوط والرومان والوندال كذلك وهذه الطبقة يتركز في ايديهم الاموال اما بقية الشعب فهم فقراء.

طبقة رجال الدين : الذين كان لديهم اموال واراضي كثيرة ولهم سلطة واسعة ولديهم اساليب شتى بجمع الاموال حيث كانوا يبيعون صكوك الغفران مع العلم انهم كانوا يساعدوا المحتاجين ويعاملون الفقراء بابشع الوسائل ويجعلوهم كالعبيد يشتغلون في الزراعة .

الطبقة العامة (الاحرار) تضم صغار ملاكي الاراضي وتجار واصحاب الصناعات والمزارع الصغيرة ولكن بدأت تختفي هذه الطبقة لأن النبلاء ورجال الدين سيطروا على جميع شؤون الدولة فأصبحت الطبقة العامة معدمة اذ فرضوا عليهم الضرائب الكبيرة فضلا عن نظام السخرة لخدمة الدولة ،لم يستطيعوا دفع الضريبة واضطروا ان يصبحوا اتباع لرجال الدين والنبلاء حيث يزرعون فقط ليأكلون والرجل النبيل ياخذ الاموال واصبح هؤلاء مرتبطين بالأرض ويسمى نظام (الاقنان) حيث يصبح الشخص كالعبيد .

الطبقة المعدومه الفقيرة (العبيد) كانوا يعيشون في أسوء حاله من جوع وتخلف وظلم حيث ملك الاقطاعين ورجال الدين يبيعونهم ويشترونهم كأى سلعه بيد رجال الدين والنبلاء والعبيد على نوعين الاول (عبيد الارياف) يعيشون في فقر شديد واسوء ظروف والثاني (عبيد مدن) حيث لديهم صناعات وحالتهم أحسن من حاله (العبيد الارياف) فأنهم صناع وكان العبيد يشكلون معظم الجيش القوطي.

أدى هذا الاختلال بين الطبقات الى فوضى فكانوا بحاجة الى تغيير الوضع أحسن . فعندما دخل العرب فساعدوهم لأن الانباء قد وصلت لهم على حسن معاملة العرب وخاصة القبائل البربرية ... فإن العبيد فروا من المعركة فأدى الى أنتصار طارق بن زياد .

خامسا - الحالة الدينية في أسبانيا :

تنتشر المسيحية في أسبانيا على شكلين الكاثوليك الذي هم يمثلون الاغلبية في المجتمع الاسباني والاربوسي وهم المتمثلين بالقوط الغربيون والذي يؤمن بطبيعة السيد المسيح البشرية، وبما ان أغلبية المجتمع الاسباني كانوا يعتنقون المذهب الكاثولوكي رأوا القوط الغربيون في زمن الملك ريكارد من الافضل لهم أعتناق المذهب الكاثولوكي وترك المذهب الاربوسي ثم تحولوا الى المذهب الكاثولوكي في سنة ٥٨٧م وهو الغالب في البلاد وكان من نتائج هذا التحول على الوضع في اسبانيا هو الارتباط الوثيق للكنيسة بالبلاط الملكي فضلا على ذلك أصبحت اللغة اللاتينية اللغة الرسمية في اسبانيا .

اليهودية : كان تنتشر اليهوديه في شبه الجزيرة الايبيرية منذ قديم الزمان الا انتشارها كان بشكل قليل وذلك لأنهم ليس لديهم دعوه ومعزلين ومنغلقين على أنفسهم وكانوا يتميزون بالتجاره ويمتلكون اقتصاد الدوله بأيديهم وكانوا يسكنون في مناطق مهمة مثل اشبيلية وطليلته لكن كان الشعب الاسباني ينظر اليهم نظره احتقار وحقد لانهم كانوا يتعاملون بالربا وكان القوط اصدروا عدة مراسيم ضدهم منها :

- ١- اصدار مكتوب عدم أنشغالهم بالتجارة .
- ٢- إعطاء أراضيهم للدولة.
- ٣- عدم استخدام العبيد من النصارى لديهم .
- ٤- أخذ أطفالهم وهم في سن السابعة من أجل تعلمهم الديانه النصرانيه .
- ٥- عدم تزويجهم من النصارى ثم اصدروا مرسوم طردهم الى شبه الجزيرة الايبيرية ويذكر المؤرخون ان سبب اضطهادهم من قبل المجتمع الاسباني يعود الى عدة اسباب منها

- ١ - بسبب عقيدتهم المخالفة للمسيحية .
- ٢ - انغلاقهم على انفسهم وعدم التعامل مع الاخرين .
- ٣ - تأمرهم مع الدولة البيزنطينية تعد من الاسباب التي ادت الى طردهم.

٤- تعاملهم بالرّبا الذي اثر على الاقتصاد الاسباني.

الديانة الوثنية : كانت هذه الديانة في المناطق الجبلية في اقليم الباسك (البشكنس) الذين يتميزون بالقوة لانهم كانوا يعيشون في المناطق الجبلية وايضاً على مدى تاريخهم لم ينظموا الى اي حكم والى حد الان يعبدون الاوثان .

قبل دخول العرب الى الاندلس مر القوط الغربيين بمرحلة ضعف حيث اختلفوا فيما بينهم بسبب موت اخر الملوك (غيطشه) واراد (غيطشه) تعيين ابنه ولي العهد لكن النبلاء رفضوا ذلك بسبب كرههم (لغيطشه) وبوفاته حدثت ثورات كثيرة في الاندلس وعدم موافقة النبلاء بتعيين ابنه ، عند اذن قررو النبلاء بتشكيل مجلس نبلاء وانتخاب ملك جديد هو (لوذريق) حيث تم انتخابه بالقوه لكونه أقوى شخص في طبقه النبلاء فأخذ الملك بحد السيف وهذا الملك بدء بعده ثورات كثيرة حيث بدء الضعف يدب بالدولة بعد الخلافات بين النبلاء وتردى اوضاع السكان في جميع النواحي وهروب اكثر العبيد من الجيش وكل هذا الامور أدت الى دخول العرب المسلمين الى الاندلس مستغلين ضعف القوط .